أحلى رحلة

هيا بنا ٣ إلى لندن

بقلم: عبد التواب يوسف

رسوم و اخراج
عادل البطراوى

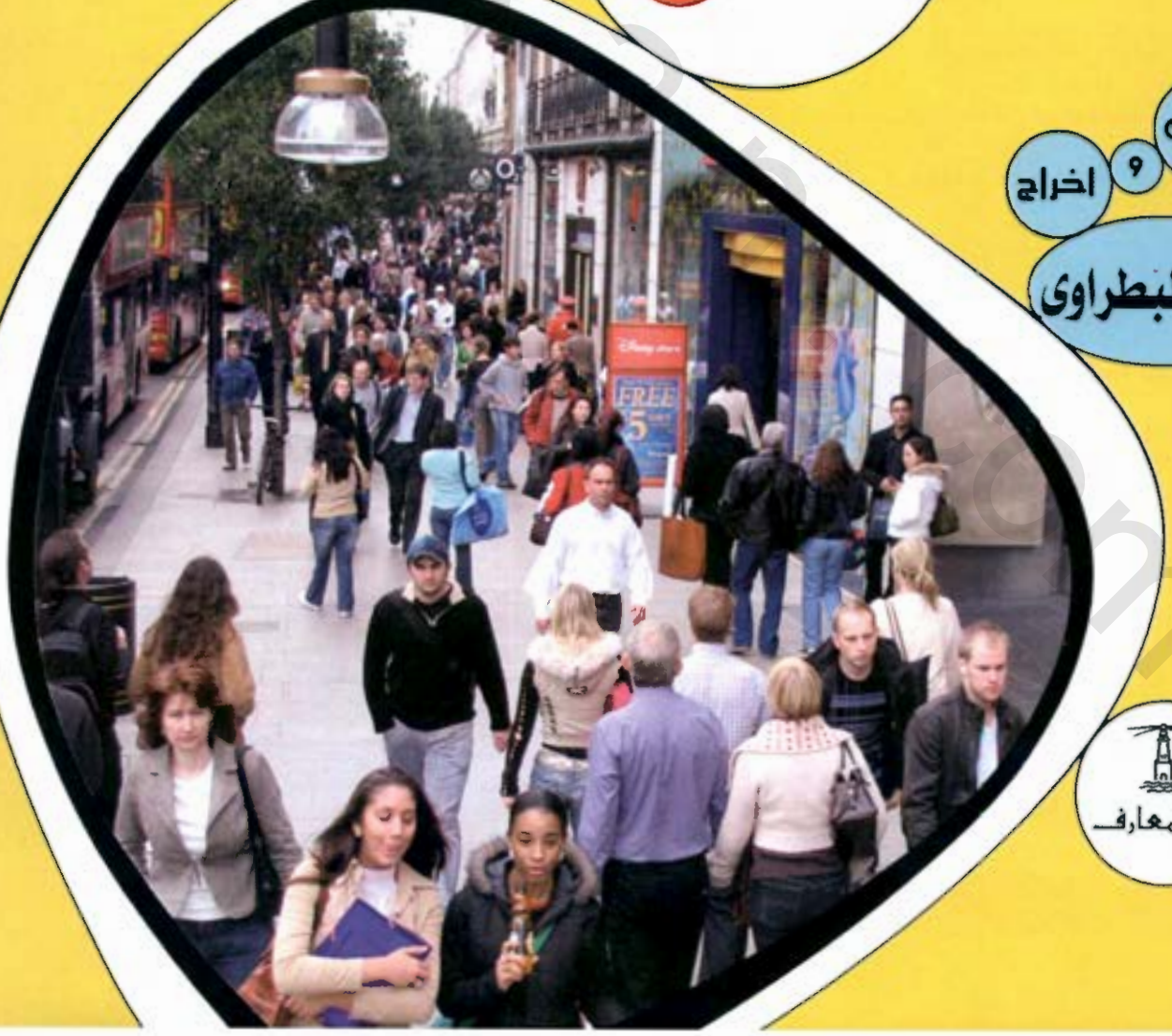

دار المعارف

أحلى رحلة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

يوسف ، عبد التواب .
هيا بنا إلى لندن .
بقلم : عبد التواب يوسف . ؛ رسوم وإخراج : عادل البطراوى .
- ط ١ - القاهرة : دار المعارف ، (٢٠٠٨) .
١٦ ص ؛ ٢٠ سم . (أحلى رحلة ؛ ٣) .
تدمك : ٩ - ٧٢٤٧ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .
١ - قصص الأطفال . ٢ - القصص العربية .
أ) البطراوى ، عادل (رسام) . ب) العنوان .
ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٢٢٦٤١ / ٢٠٠٨ ٣١/ ٢٠٠٨ /٧

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر

دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل -
القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩
E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة

أبناءُ القرَى فى مِصْرَ كانُوا لا يحبونَ الـ
والغُربةَ.. وأنَا مِنْهم.. صَحبنى أَبى وأَنَا طـ
إلى محطَّةِ السِّكة الحديدِ فِى بَنى سُوَيف..
طَريقى للقَاهِرةِ.. وجدتُّ ما يزيدُ عَلى عشـ
صَديقًا يُودعوننى لرحْلةٍ لا تزيدُ عَنْ ساعتـ
ربمَا أعودُ منها بعدَ يَوْمَيْنِ!

وبعدَ أنْ أصبحتُ ابن بطُّوطة، لم أجدْ
يقودُ سيَّارتى إلى المطَارِ وأنَا ذَاهب للبحرـ
قُدتهـا وتركتهَا، وعدتُّ إليها بعدَ ليْلتينِ
البحريْنِ..

- مَا هذَا الذِى قُلتُهُ؟ أنا ابنُ بطُّوطة؟!

ضحكتُ.. أيـنَ أنَـا مِنْه، ذلـكَ الرحَّـ
العظيـمُ، الـذِى سـافرَ عَلى قدميْـهِ، وركـ
حصانًا أوْ بغلًا أو حمارًا، أو اعْتلى ظهْرَ ناقـ
وَاسْـتغرقتْ منهُ رحلتُهُ الأُولى ثَلاثةً وعشرـ
عامًا.. وَكثيرٌ منْ رحَلاتى لمْ تسـتغرقْ ثلاـ
وعشرينَ يومًا، وأحيانًا: سَاعة؟

هلْ أدَّعى أَنى أُقارنُ به وهوَ الذى سجَّل عَـ
رحَلاته مجلَّدات، وَلمْ أكتبْ عَنها سوَى بعْـ
كراسَـاتٍ صغيرةٍ ضاعَ أغلبهَا نعَمْ، سَـافرـ
كثيـرًا، ولمْ أكنْ رحالةً ممتازًا.. هِى رحَلات
خَاطفة، سُـرعَان مَا أرجـعُ لبلـدِى وَبيْتِى-
وكأننِى مَا غَـادرتُ.. «ولارُحْت ولا جئْتُ».
سـوَاء كانَ هذَا دَاخل مِصْرَ أَمْ خَارجهَا.. وكانَ
الطريفُ أننِى أحببتُ السَّفرَ

وَصَلتنى دعوةٌ كريمةٌ من «المجلسِ البريطَانى الثقافِى» فِى السَّـادسِ والعشـرينَ منْ نُوفمبر، وتقولُ الدعوةُ: إنَّهُم فِى انتظارِى.. سُـررتُ، بل ابتهجتُ، وربمَا سَـعِدتُّ، فلمْ أكنْ قدْ سَافرتُ منْ قبـلُ إلى أى بلـد أُورُوبى.. فِى اليـومِ التالِى ذهبتُ لمقرِّ المجلسِ بالقاهرةِ، شكرْتُهم فِى حرارةٍ، وقلتُ لهمْ:

– الموعدُ لا يُنَاسبنى، أرجُو تأجِيله إلىَ السَّنةِ القادمةِ!

أدْهَشهم الأمرُ كثيرًا، وسألُونِى:

– لماذَا تُرجئُ الرحلةَ كُلّ هذَا الوقْتِ الطَّويلِ؟

– أولاً لأتفادَى البردَ، وَثانيًا لِكَىْ أُخطِّط للرِّحلةِ بشكلٍ جَيِّدٍ..

مطار هيثرو

وَفِى العشـرينَ مِنْ إبريل – كما حددتُ قبلَ شُهور – كنتُ أهبطُ مِنْ طَائِرتى فِى مطَارِ هيثرو فِى لندن... وَكَانتْ تنتظرنِى سيدةٌ عَجوزٌ عَلى وجهِهَا ابتسامةٌ عريضةٌ وَفى يدِهَا باقَةُ زهرٍ.. قَالتْ مُرحبةً:

– أَهلاً بكَ.. وَاضحٌ أنكَ جِئتَ بالدفءِ منْ مِصْرَ.. وَأنكَ حملتَ الكثيرَ لنَا منهُ فِى حقائبكَ.. وقبلَ أنْ تفتحهَا.. آهٍ.. هاهى ذِى مصرُ تنتظرُنِى...

وَصَحبتنى السيدةُ العجوزُ إلى مَكاتب «المجلسِ البريطَانى» .. المدينةُ جميلةٌ، والسَّياراتُ والحافلاتُ ذاتُ الطابقيْنِ تسيرُ إلى يَسارِ الشَّارع، وليسَ إلى يمينهِ، وَالعماراتُ عَاليةٌ أنيقَةٌ، يفوحُ منهَا عَبقُ التاريخ.. والمحلاتُ التجاريةُ مُنسقة بشكلٍ جميل، ينمُّ عَنْ ذوقٍ رفيع.. كانتْ عَيْناى تلتقطانِ الصورَ، وإذَا مَا وَجدتُّ بناءً غريبًا سألتُ عنهُ، وَعندمَا أرى تمثالاً أرغبُ فِى معرفةِ لمَنْ هُوَ.. وكانَ أروعَ مَا شَاهدته «إبرةُ كليوبَاترة» وسطَ ميدانهَا الفسيح.. رأيتُ أنْ أتوقفَ عِندهَا، وأرفعُ يدِى لتحيتهَا، بلْ وأحْنِى لهَا رأسِى، ولوَّحتُ لهَا مُوَدعًا حينَ غَادرتهَا، وأرسلتُ إليهَا قبلةً عَبْرِ الهواءِ.. هَل تسألونَ: لماذَا كلُّ هذَا؟

إبرةُ كليوباترا كمَا يُسمونهَا مَاهى إلاَّ مَسلةٌ مصريةٌ مِنْ عهْدِ مصرَ القديمةِ، تزدانُ بهَا لندن، وتفخرُ بهذَا الرَّمْز الرَّائع لهذِه الحضارةِ الأصيلةِ العريقةِ والتِى هِى أُولى حضارَات الدنيَا قَاطبة.. نقلُوا هَذِه المسلةَ.. سرقوهَا.. وَأعلنوا عَنْ ذلكَ بوضعِهَا فِى هذَا المكانِ.. ألَمْ أقلْ لكمْ: إنَّ مصرَ أُسافر منهَا وَأجدهَا تنتظرنِى؟!

مسلة "إبرة كليوباترا"

شىءٌ غريبٌ لاحظتهُ فِى الشوارِع.. إنَّها علىِ الرغْم منَ ازدحَامهَا بالناسِ وبوسائلِ المواصلَاتِ، كانَتْ هادِئةً وَادعةً.. وكلُّ مَنْ فيهَا منصرفٌ إلى شَأنه، ومَامِنْ صَخَب، أو صُراخ، حتَّى السَّيارات لمْ تكنْ تحدثُ صوتًا، وطيلةَ الوقتِ مَا سمعتُ قَط بوقَ سيارةٍ واحدٍ، حتَّى لقدْ كدتُّ أَسألُ مُرَافقتِى:

– هلْ نزعْتم الأبواقَ وَ «الكلكسَاتَ» منْ عَرباتكُمْ؟

ومررنَا بشـارعِ أكسـفُورْد أَجملُ شـوارِع لندن، وكنتُ أرغبُ فِى السيرِ فيهِ عَلى أقدامِى، وأرجأتُ ذلكَ إلَى وقتٍ آخرَ، وسألتُ نفسِى:

– هلْ أجدُ فيهِ محلَّ «مِدَمِّسْ إكسـفُورد» الذى قرأتُ عنهُ فِى القصةِ التى صَدرَت عَنْ دار المعارفِ وأنَا طفلٌ.. كَانتْ فِى سلسلةِ «قصص مدرسيِّة» ..

اسْتَقْبلتنى مسزْ «بلاك بيرن» بحرارَةٍ وحفَاوةٍ جَعَلتنِى أَندهشُ، لأنَّ الإنجليزَ اشْتهروا عندنَا بمَا نُسمِّيه «البرود» ..

شارع إكسفورد

.. بعـدَ ذلكَ دَفعَت إلىَّ برسـالةٍ وَصَلت مـن القاهرةِ قبلَ أَنْ أَصـلَ.. مفاجأةً أعودُ إليهَا.. قَالتْ لِى:

– هذَا أَفضلُ برنامجٍ وَضَعْته لزائرٍ، ذلكَ أنكَ تعرفُ مَا تُريد كمَا أنك ممَّنْ يُحدِّدُونَ أَهدَافهم فِي دقةٍ بَهَرتْنِى.. لقدْ لَقَّنتنِى درسًا رائعًا عنْ بلدِى.. فقد عرفتُ وأنا أبحثُ لكَ عمَّا طلبْتُه منِّى كمْ نحنُ محبُّونَ لأَطفالنَا، وَكمْ نعملُ مِنْ أجْلهم.. البرنامجُ مزدَحِمٌ بالمواعيدِ واللِّقاءَاتِ.. ليتكَ تحرصُ عليهَا.

وختمتْ جلستَها مَعِى بقولهَا:

- نَائبُ رئيسُ المجلسِ البريطانِى يدعوكَ للعشاءِ اللَّيلة، وسيرافقكَ إلى مسرحيَّةٍ لشَكسبير كمَا طَلبتَ..

وقدْ كانَ الحديثُ والطعامُ فِي مُنتهى الدَّسَامة، خاصَّة وَقدْ طُرحَ علىَّ سُؤَال شَائِك عَنْ مشاعرنَا تجاهَ الإنجليزِ الذينَ أطالُوا احتلالَ بلادنَا، وكنتُ صريحًا مَعَهُ..

- لقدْ حَاولنَا أنْ نتناسَى انجلترا المحتلَّة لأرضنَا، وأَنْ نُولى اهتمامَنا بانجلترا «شكسبير» وشخصيًّا أحببتُ كثيرًا انجلترا «اليانور فراجون».

سأل: مَنْ تكونُ؟

- أروعُ مَنْ كتبتْ للأطفالِ منذُ أندرسون (ترجمْتُ لهَا خمسَ قصصٍ فِى كتابٍ، أراهَا بديعَة وَمُمْتعَة)، وشَاهدنَا المسرحيَة..

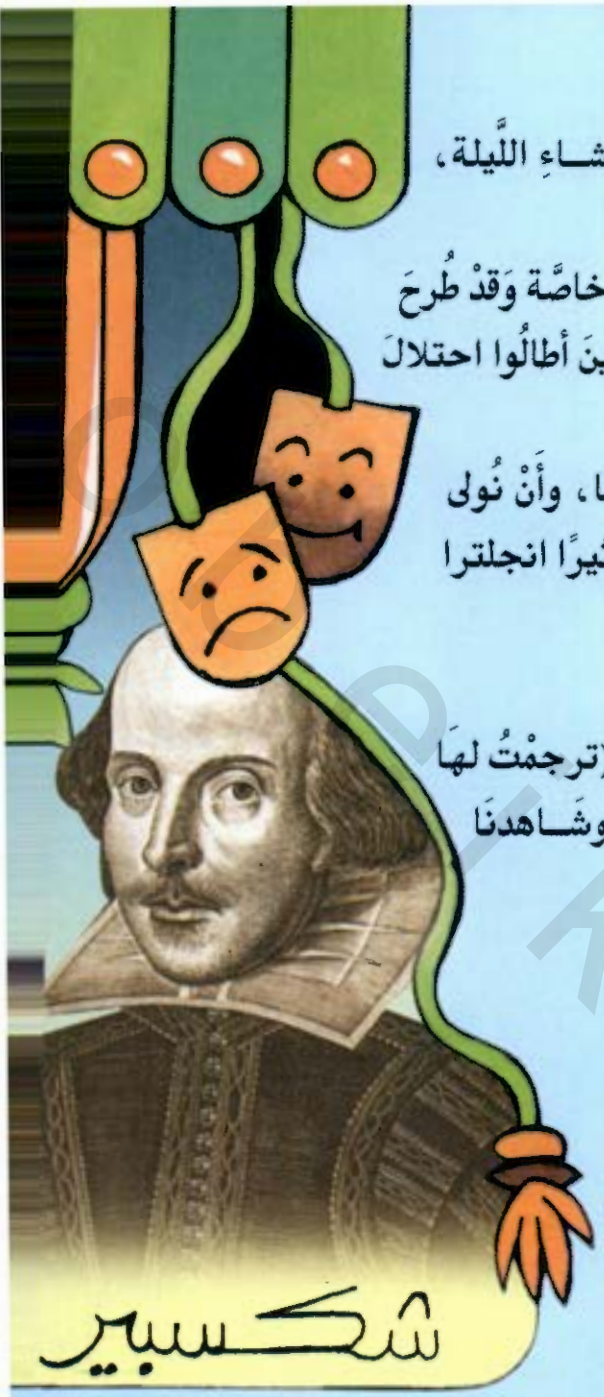

شكسبير

هايد بارك

تجوّلتُ فِى لندن.. وامتدَّتْ أيامُ الإقامَةِ فيهَ وتكرَّرت زيَاراتى لَهَا، هيَّا بنَا نراهَا معًا.

كانَ الفندقُ الذِى نزلتُ فيه قريبًا حَدَائق كَنزنجستن الشهيرة والتِى فيه «هايد بارك» الذِى يتجمعُ فيهِ الناس ليخطُبوا ويُعبِّروا عمَّا يُريدُونَ، ويُعلنُو عنْ آرائهمْ بحريَّة كاملةٍ ولا يتعرضُ له أحدٌ، كأنمَا عِندهُم حَصَانة مثْل أعضَاء البرلَمانِ.

الحدائقُ فسيحةٌ لدرجَة كبيرةٍ جدًّا، وَتضمُّ متحفَ لندن .. وهناكَ قصرُ بَاكنجهام الملكى..

المدينــةُ قديمةٌ عمرهَا مــنْ بدايةِ التاريخ الميلاَدِى، المبَانــى مَابَيْنَ عرِيقــةٍ، يبدُو عليهَا جلالُ الزمنِ، وَأخرى حَديثةٌ لَنْ تحسَّ بالرضَا عنهَا..

ولاَ تكنْ صَديقى وَرفيقى مثل الأمريكى الذِى زارَ إنجلترا ودعاهُ صديقٌ انجليزىٌ للغذَاء، وبعدَ تناوُل الغَدَاء قالَ الضيفُ وهوَ ينظرُ إلى سَاعته:

– أمامنَا سـاعتانِ نسـتطيعُ أنْ نَرى فيهمَا جَزيرتكُـم البريطانيَّة، والحقيقةُ أنَّ لندن وحدهَا لا يكفِى أسـبوعَان أو شَـهْرانِ لمشـاهَدَتها، لأَنَّ مسَاحتها ١٥٠٠ كيلو متر مربع، وَيمرُّ بوسـطهَا نهرُ التَّيمز، الذِى جَعلَهـا مِنْ أَحد أكبرِ موَانى العَالم، إذْ تبحـرُ فيهَا البواخرُ العملاقة للبحـارِ والمحيطاتِ وَكل بلاَدِ العالمِ.. نعمْ، لندن وحدهَا رُبما هِىَ باتسَاعِ سينَاء!

متحف لندن

٩ قصر باكنجهام الحرس الملكى

وَكَثيراً مَا تُشاهدونَ مبَانى البرلمانِ الذِى يوجدُ عَلى نهرِ التَّيمز، فِى حىِّ وستمنستر الشهير، وَبه ساعة بج بن التِى رُبمَا تكونُ أَشهرَ ساعةٍ فِى العالَم، وَدَقاتها مَعْروفة، وَفِى الحىِّ كنيسةٌ وستمنستر المشهورَه، هِىَ واحدةٌ منَ التحفِ الأثرية.. وَفِى نفسِ المنطقةِ شَارع دوانتج ستريت، والبَيت رقم «١٠» الذِى تعرفهُ كلُّ الدنيَا، لأنه مقرُّ رئاسةِ الوزَرَاءِ..

وَعَلى شط النهرِ عشراتُ المسَارِح، وَقَاعَاتُ الموسِيقى، وصَالاتُ العروضِ الفنية التَّشْكيليَّة.. وهناكَ بالطبعِ أَحْياء شعبيَّة قَديمة، يَسْكنها بقايَا أهلُ لندن القُدَامى، وقدْ تحدَّثتْ مُرافِقتِى معَ سَائقِ سيَّارتى بلغةٍ لاَ أعرفهَا، وأدْهشنى ذلك، وسألتُ عن هذه اللغة فقالت :

– هذِه لهجةٌ إنجليزيةٌ عَتِيقة، اسمهَا «كوكن» يصعبُ فهمهَا ويتحدَّث بهَا أبنَاءُ هذِه المنطقةِ التِى هِىَ منْ حولِ كنيسةِ «سانْت مَارِى لولو» .

حجرُ رَشيد

اللُّغةُ الْهيرُوغْليفيَّةُ، وَالدِّيمُوطيقيَّةُ، وَالْيُونَانيَّةُ

مَبْنَى الْبَرْلَمَانِ « وِسْتمِنْسْتر »

وسكَّانُ لندن مَهْووسُونَ بلعبةِ كُرةِ القدم، ونواديهَا شهيرَة، وكذلكَ لاعبُوهَا، والطريفُ أَنَّ أغلبهَا ممْلوكٌ لأفرادٍ، يملكونَ أرضهَا، وملاعبهَا، ومُنْشآتهَا، وَأيضًا لاَعبيهَا!!.. وهناكَ اهتمامٌ بالتنسِ، وَالمدينةُ تحتضِنُ أشهرَ مُسَابقاتهَا عَالميًّا «ويمبلدون».

المتحف البريطانى

وعندمَا نتحدثُ عَنْ متاحفِ لندن نقولُ: إنهَا المدينةُ التُّحفةُ التِى تحْوِى أعظمَ متاحفِ العالمِ وَفِى مقدمتهَا «المتحف البريطَانى».

– ومؤخرًا فصلُوا منهُ المكتبةَ الضَّخمةَ التِى تُضَاهى مَكْتبة الكُونْجرس الأمريكيَّة، والمتحفُ البريطَانى يضُمُّ آلافًا مِنْ قطعِ الآثارِ المصْريَّةِ وَفيه التقيتُ بأرْوعهَا: حَجر رَشيد الذِى ساعدنَا عَلى قراءةِ اللُّغةِ الهيروغليفيَّة المصريَّة القديمةِ، وفتحَ لنَا بابَ دراسةِ تَاريخنَا الحضارِىِّ.. والشىءُ الثانِى الذِى رأيتهُ هوَ أَوَّلُ كتابٍ للأطفالِ فى التاريخِ، وهوَ بالطبعِ منْ مصرَ، وَفِى سِّت عَشْرة صفحَة، وباللَّونيْن الأَحْمر والأَسود، ومنْ ورقِ البرْدِى.. تمنَّيتُ لو أُقلِّب صفحَاته، أَوْ ألمسَهُ، ولَمْ أتمكَّنْ لأنهُ مُصَان دَاخلَ خزانةٍ منْ زُجاجٍ لا ينفذُ منهُ الرصَاص!!

حُورَس «تِمْثَالٌ» حَف البريطَانِىَ

وَفِى لندن برجُهَا الشَّـهير، الذِى كانَ سجْنًا، وتحوَّلَ إلى مُتحـفٍ بديـعٍ، وَكنَائس لندن فِى الواقـعِ مَتاحفِ، تقامُ فيهَا الصَّلـواتُ والاحتفالاتُ الكُبرى، وَمنهَا كنيسةُ «وستمنسـتر» التِى يُتوجُ فيهَا الملوكُ الذِينَ يلبسونَ التاجَ البريطَانى والملكَات..

تتبقَّى بعضُ حِكَايات صَغيرة معَ المدينةِ الكَبيرةِ لندن..

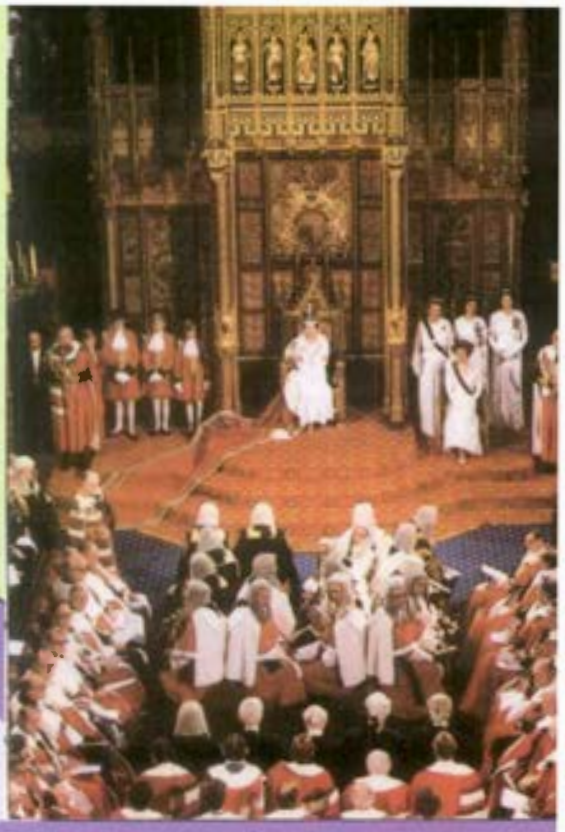

افتتاح البرلمان

الحكاية الأولى

ساعة بج بن

زيـارةُ المتاحفِ الثلاثـةِ بجَوار الفنـدقِ: المتحـفُ التَّاريخىُّ/ الجغْرافى/ العلْمىُّ كَانتْ مِنْ أروع لحظَاتى فى لَندن، وأدركتُ منهَا أنَّ المتاحفَ كالمدارسِ، وَالعلْم، وَالفَنِّ.. فِي المتاحفِ الثَّلاثةِ اسْتأثرتْ مصرُ بكلِّ واحدٍ منهَا.. قلتُ لكُم: إنهَا كَانت تنتظرُنِى..

حِينَ أَتحدَّثُ عنْ مُتحفٍ تَارِيخى، كَمْ أتوقعُ أَنْ تَسْـتولِى حضارةُ مصرَ القدِيمـة عَلى الجَانـبِ الأكبـرِ منـهُ، كمَا تصدَّر موقعُنـا المتميزُ، قناةُ السويس والنيلُ بأغلبِ مَا رأيتُ فِى المتحفِ الجغْرَافى.. وقلتُ لنفسِى:

- لاَ أَظُننى سَأجدُ مصرَ فِي مُتحف العُلُوم!

وَكانت تنتظرُنى قاعة، جذبتنى إليهَا المرشدةُ قائلةً:

- هَذِه قاعةٌ مِنْ بلدكَ...

ودخلتُ لأجدُ نفسِى أمامَ مُفاجَأةٍ ضَخْمة.. مصرُ والسَّماء وكيفَ عَرفنَا أنَّ السَّنة ٣٦٥ يومًا، و ٨ ساعات، و.. و.. لأننَا أوّل مَنْ قرأَ السماءَ ونجومَهَا والشِّعْرى اليمانية» .. ثمَّ رأيتُ أكثرَ مِنْ مزْولةٍ وَمِصْباح يحلُّ مكانَ الشمسِ ومقياسٍ للظلالِ عَلَى مَدَى النَّهارِ.. كمَا تناثرتْ ساعاتُ الرملِ وسَاعاتُ قطراتِ الماءِ، وَسألتْنِى المرشدةُ أنْ أضبطَ سَاعَتِى السويسريةَ عَلى ساعاتِ جُدودِى.. وَاشْرَأبَّ عُنقِى!

ساعة الماء

الأبراج

الحكاية الثانية

زيارة متحف لندن، كَانتْ أكْبر منْ مُفَاجأة.. نَصحُونِى قبلَ السَّفرِ بأنْ أَحملَ زهْريَّات وأوَانى منَ الزجَاج الأزرقِ الرَّخيصِ الذِى كانَ يباعُ فِى الموسْكى عَلى عربَات، وقبلتُ النصيحةَ ساخرًا.. وعندمَا وصلتُ مطارَ لندن قالتْ لِى مُرَافقتى: هَلْ عرفتَ أنَّ الدكتور جُون بنفسِهِ سيطوفُ بكَ مَعْرض لندن؟! .. سيكونُ ذلكَ بعدَ ثلاثةِ أيام.. ومرَّ يومٌ ثالثٌ وكرَّرتْ نفسَ العَبارةِ.. سمعتُ الخبرَ مِنَ السيدةِ التِى وضعتْ البرنامجَ، كما قالهُ لى نائبُ رئيسِ المجلسِ.. وأخيرًا حَانتْ سَاعةُ زيارةِ المتحفِ، مُعتمدًا عَلى نَفسِى، وبلاَ مُرَافق، لأنهُ عَلى مَقْربة مِنَ الفندقِ.

وَقبلَ الموعدِ بنصفِ ساعةٍ حملتُ تمثالًا كبيرًا لرمْسيس الثالث مَعى، وجلستُ عَلى مَقربةٍ منْ بابِ المتحفِ أتطلعُ إلى سَاعتِى المضبُوطَةَ عَلى سَاعَاتِ جُدُودى، وقبلَ خمسِ دَقَائق منَ الموعِد المحدَّد اتجهتُ نحو البابِ، واسْتقبلنِى اثنانِ فى مَلابس تُشبه ثيابَ الحرسِ الملَكى زَاهِيَة الألوانِ، وسَألَنى: هَلْ أنتَ ضيفُ د. جون؟

قلتُ: نَعَمْ.. قَالَ الآخرُ: سيطوفُ معكَ بنفسهِ فِى المتحفِ..

اسْتقبلنِى د. جون وهو رجلٌ أبيضُ الشعرِ، الكَثيف عَلى رأسهِ الكبيرِ، وَوَجهه شديدُ الاحمرارِ، ورحَّبَ بى مُكررًا نفسَ العبارةِ..

- هَلْ علمتَ أنِّى سأطوفُ معكَ بنفْسِى فِى المتحفِ؟

ضحكتُ وقلتُ: بالطَّبعِ، لاَ حديثَ للندن إلاَّ عنْ هَذَا.

- أنتَ لاتعرفُ عنِّى غيرَ أنِّى كاتبُ أطفالٍ منْ مصرَ، وأظنُّ أنَّ مصريَّتى وراءَ هذَا التكريمِ الكبيرِ.. قالَ وهوَ ينهضُ عَنْ مكتبهِ: هذَا صحيحٌ..

أَساوِرُ مِنَ الْخَرَزِ

وَدارَ حـولَ المكتبِ، وَفتحَ بابًـا زُجَاجيًّا فِى مكتبتـهِ وأخرجَ مجلَّـدًا ضخمًا، بـلْ غَايةً فِى الضخامةِ وَضعهُ أمامِى لأُقلبَ فيهِ وهُوَ يقولُ:

– هذِهِ رِسَـالةُ الدكْتورَاة التِى حصلْتُ عليهَا مِنْ سـنواتٍ بعيدةٍ، هـى عنِ الزجَـاج المصرىِّ القدِيـم.. أَنتم أوَّلُ منْ صَنَعـه.. وقلبتُ المجلدَ مذهولاً للصُّور التِى يحتويهَـا للأوانِى المصريَّةِ الزُّجَاجية، وَاسْتغرقنِى مَا أراهُ إلى أَنْ نبهنِى إلَى جَوْلتنا فِى المتحفِ، ولعلَّها أرْوع مَا شهِدتهُ منْ مَتاحف فِى حَيَاتِى..

أوانى لِلْعُطُورِ

لقدْ رأيتُ لندن القديمَة، ولَندنَ التِى أَزُورهَا، بَلْ ولندن المسْتقبل.. رأيتُ لندن فِى ثيابٍ ثلاثة، خلاَلِ ثلاثِ ساعَاتٍ، اسْتأذَنتهُ أَنْ أزُورَهُ فِى اليـومِ التـالِى بدقَائـق، وَافقَ مضطرًا.. جئتهُ بالأوَانى الزُّجَاجية كَاملةً، رَاحَ يصرخُ مبتهجًا بها

– مازِلتـمْ تصْنعونَها.. توَّجْت أَيَّامى يَا رجُل!

كانَ ضِمن برنامجي أنْ أزورَ أشهرَ قريةٍ فى الدنيَا، جرينِيتش.. ركبتُ القطارَ وحْـدِى.. ونزلتُ فـي محطَّتهَا.. مَنْ كَانت فِي انتظارِى، وَأدهشـهَا أنْ أنظرَ إلى شـيءٍ مِنْ خلفهَا ويدهَا فِى يـدِى.. التفتتْ تريدُ أنْ تعـرفَ فيمَا أُحدِّق؟ ولماذَا تطلَّعتُ إلى سَاعتِى؟

قلتُ لهَا مُبتسمًا:

- بالصدفَةِ أنَّ أولَ سـاعةٍ أراهَا فِي جرينيتش: ساعةُ المحطَّة: مُتَوقفة.. وكلُّ العالمِ تجرِى سَاعَاتهُ وتتحركُ وفق تَوْقِيت جرينتش..

انفجـرَتْ ضَاحِكـةً، وَكتبتْ ملاَحظةً فـي دَفترهَـا الصَّغيـر.. بعدَ عَوْدتِي للقاهرةِ عرفتُ ماذَا كتبتْ، لأنهَا أرسَـلتْ لِي الصَّحيفةَ المحليَّةَ للمدينةِ، وَبها صُورتِى مَعَ الفكاهةِ التِي أَطْلقتها، وَذكرتْ فِي رسَـالتها أنهم أَصْلحوا الساعةَ فِي نفسِ اليومِ!

الحكاية الثالثة

قريـة جـرينيتش

أَخَذتنى إلى مكانٍ مُثبتةٍ بهِ قطْعة من الحديدِ، وَضعتها بينَ قدمىَّ وأنَا وَاقف والتقطَتْ لِى صورةً قائلةً:

- أنتَ تضعُ قَدمًا فِي شرقِ الكرةِ الأرضيَّةِ وقدمًا فِي غربهَا، أنَا حَزِينٌ لأنِّى فقدتُّ هذِه الصُّورة..

شَـاهدتُ المسرحَ التعليميَّ الذِى يحوِّلُ الدروسَ إلى دراَمَا.. وَكانتِ الروايةُ عَـنْ «نهر النيل» بالصُّدفةِ.. كما شـاهدتُّ فناءَ مدرسـةٍ يتحوَّلُ إلى مدينة يمارسُ كلُّ طفْل فيهَا المهنَةَ الَّتِى يرغبُ فيهَا.. يُغنىِّ وَيَجْرى حِـوَارًا مَع الأطفَـالِ.. وهُمْ فجأةً يَتحوَّلُـونَ إلى جُندٍ يُدَافعونَ عَنْ مَدِينتهم، ورجَال مَطافِى - مُسْـرعينَ- عِندمَا يشبُّ حرِيق.

The educational THEATRE present The Nile RIVER

الحكاية الرابعة

وفـى لجنةِ أَدبِ الأطفـالِ التقيْتُ معَ كُتَّابهم.. تعرَّفْـتُ إلى مُؤَلفينَ قرأْتُ لهَمْ وَسعدتُ بهمْ.. وصلَ رئيسُهم متأخرًا دَقائق قَليلة، وراح يَتندَّرُ لأنهُ قادَ سـيَّارته خمسَ سـاعاتٍ لمقَابلَتى: اسمه جيفرى تريز.. سألتُهُ كيفَ؟ فعَرَفْتُ أنهُ يسـكنُ فى الريفِ بعيدًا عَـنْ لندن وقلَّما يزورهَا، وهو يكتـبُ ووكيلُ أعمالهُ يتلقَّى كتابَاتهُ ويضعهَا بينَ يدِ النَّاشر، وَيرسلُونَ لهُ مُسْتحقَّاتِهِ! .. هوَ يكتبُ فقطْ، بينمَا أقومُ أنَا بمَا يزيدُ عَلى سبعِ عشرةَ خُطوةً ليصدرَ لِى كتابٌ..

تَعرفْتُ عَلى مارى كوكيت، ودَعتنى للعَشاء.. وَعَلى ليون جارفيلد الـذى حصلَ علَى جائزةِ كارنجـى.. كانَ المفروضُ أنْ أبْقـى مَعَهُ سـاعتيْنِ ولأكثر مِن سـاعةٍ دارتْ حولَ كُتبى ومُؤَلفاتى، وأدْهَشهم أنهَا مرسُـومَة، وقيلَ لَهُمْ إنَّ الإسلامَ يحرِّمُ الرسـم! .. قرَّروا تعْويضى بتناوُل الغَداءِ معًا وَاسْتمرَّ اللقـاءُ لأربعِ سـاعَاتٍ، عَلى أثرِهَا دعانـى جارفيلد للغداءِ ومُشاهدةِ مسـرحيَّةٍ للأطفالِ.. كانَ رائعًا وَالمسرحيَّة أيضًا.. سـألهُ طفلٌ صغيرٌ عَنْ آخر أعمَالِهِ، قالَ لهُ: إنهُ يكتبُ لسـنٍّ أكْبَر، ردَّ الطفلُ أنا مِنْ مدرسَـةِ الموهُوبينَ.. اعتذرَ لهُ ووعدهُ بكتبهِ هديَّةً مجَّانيَّةً.. نصحَنِى أنْ أكتبَ بالإنجليزيةِ ووقَّعتُ عقـدًا معَ وَكيلِ أعمَالهِ وَلمْ ألتزمْ به لأنَّ مُهمتى تثقيف أبناءِ بلدِى.. جاءنَا لزيارةِ مَعْرض كُتبِ الأطفالِ بدَعْوةٍ منِّى.

علم بريطانيا

- لندن هىَ أكبرُ منْ أىِّ مَدينـة أُخْرى فِى بريطانيا بنحوِ سبـع مـرَّات، وهـىَ أكـبرُ مَوَانى أُوروبَّا.
- هِىَ مدينةٌ صناعيَّةٌ، ومدينةٌ كَاتدرائيـةٌ، والمركـزُ المـالِى للكُومنولث البريطَانِى، وقاعدةُ الحكومَةِ ومَسْكن الملكَة وبلاطهَا.
- لندن الكُبرى مساحتها ١٩٧٠ كيلو متر مربع.
- يرجعُ تاريخُ نشأةِ لندن إلى عام ٤٣ م.
- أشهرُ مَا بَقَى منْ آثارِ العصُورِ الوسْطَى فِى لندن هُوَ بُرْجُ لندن.
- تقـعُ مُعظمُ مَوَانئ بريطانيا عَلى مصبَّاتٍ خَليجيَّة للأنهارِ الكُبرى، وَهذِه المَوانئُ- ولا سـيَّمَا مِيناء لندن- مُزدحِمَة بحركةِ نقْلِ السِّلعِ وَحَركة السُّفُن الصَّغيرة وَالكبيرةِ عَلى طُولِ النَّهْرِ.

خريطة بريطانيا

أتساءلُ أخيرًا:

هلْ تحدثتُ حقًّا عَنْ لندن؟

أم كتبْتُ عَنْ مِصْرَ فِى لندن؟ ..

اغفـرُوا لى.. مَاهُوَ ذَنبى، لكـنْ مَا العملُ معَ بلدٍ أُغادرهُ وأسافرُ بعيدًا وَإذَا بِهِ فِى انتظارِى؟!